الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

مغامرات شارلوك هولمز

The Adventure of the Noble Bachelor

مغامرة النبيل الأعزب

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

10

مغامرات شارلوك هولمز

The Adventure of the Noble Bachelor

مغامرة النبيل الأعزب

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
نيسان 1892

ترجمة: سليمان حسون
مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةُ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز

المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكريَّة والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التَّوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيَّد كل قصص كونان دويل هي شخصيَّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً

كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة ، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة

قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من هذه القضايا الصَّغيرة، مُركِزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشكلٍ دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنَّه سيدٌ إنجليزي من الطِّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادَّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرُّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ قدراته البدنيَّة عالية. هو ملاكمٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلَّب على خصومه في المرات القليلة نسبيَّاً التي اضطر فيها للاشتباك جسديَّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنَّه: (يمتلك قوة استثنائية في أصابعه). أمَّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنَّه: (يمتلك

القليـل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَت بعض المعلومات عـن خلفيـة هولمز. قُـدِم في 4 آذار 1881 على أنَّـه طالب كيمياء مسـتقل، لـه مجموعةٌ واسـعةٌ من الاهتمامـات الجانبيـة، وتقريباً؛ فـإنَّ كل هـذه الاهتمامـات تصـب في مجـرى مسـاعدته ليصبـح خارقـاً في حل الجرائـم. في مغامرة أخرى مبكِّـرة بعنوان مغامرة غلوريـا سـكوت، تتضح الأسـباب التي دعت هولـمز إلى العمل كمحقـق خاص؛ امتـداح والد زميلـه في الكلية الشَّـديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامـرة المترجـم الإغريقي، يقول هولـمز: أنَّ جدَّته كانت شـقيقة الرَّسـام الفرنـسي فيرنـو. وفي دراسـة بالقرمـزي، يضـع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شـارلوك هولـمز أيضاً مُحلِّل شـفرات كـفء، ويقول لواطسـون: أنـا متآلـف مـع كل أشـكال الكتابة السريَّة بشـكل جيـد، وأنا نفسـي مؤلف كتـاب ثانوي حول الموضـوع، حللت فيـه مائـة وسـتين شـفرة منفصلـة. حُلت إحـدى الشَّـفرات في مغامـرة الرِّجـال الرَّاقصـين، التـي اسـتخدمت سلسـلة مـن الأشكال الأوليَّة.

كـما أظهـر هولـمز نفسـه كأسـتاذ في التَّنكـر بعـد أن تنكـر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة

الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في

الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّـقيق الأكـبر لهولـمز، الـذي يمتلـك قـوى تحليليـة تفوق حتَّـى تلـك التـي يتمتَّع بها شـقيقه الأصغـر. وبالرُّغـم من ذلك فـإنَّ مايكروفـت غـير قـادر عـلى أداء عمـل تحـرٍ مشـابه لعمل شـارلوك، لأنَّـه لا ينـوي بـذل أي جهد جسـدي ضروري لحل القضايا.

ليـس لديـه طمـوح أو طاقـة، ولـن يتزحـزح عن هـذا حتَّى ليثبـت حلولـه الخاصَّـة، ويُفضِـل أن يُعتـبر حله خاطئـاً على أن يتحمَّـل عنـاء إثبات صحـة كلامه. كثـيراً ما أخـذت مُعضلاتي إليـه، وحصلـت منـه عـلى شروحـات ثبـت صحتهـا فيـما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

مغامرة النبيل الأعزب

لم تعد مسألة زواج اللّورد سايمون ونهاية ذلك الزّواج المثيرة للاستغراب والفضول في آن، لم تعد محطّ أنظار الطّبقة الراقية التي ينتمي لها العريس سيء الحظ، فقد حدث ما يكفي من الفضائح الجديدة التي طغت أخبارها واستولت على اهتمام النّاس، لينسوا الأحداث المثيرة التي وقعت قبل أربع سنوات.

ولأنّي أعرف أنّ الحقائق الكاملة لتلك القضية لم يعرفها أحدٌ من النّاس، وبسبب أيضاً مشاركة صديقي شارلوك هولمز بحل تلك القضية، فقد شعرتُ أنّ من واجبي الحديث عنها خصوصاً أنّ مذكراتي وملاحظاتي عن هولمز لن تكون كاملة دون التّطرُّق لتلك القضية وأحداثها الرّائعة.

لقد وقعت أحداث تلك القضية قبل زواجي بأسابيع قليلة، حين كنتُ لا زلت أشارك شارلوك هولمز السّكن في شارع بيكر. حين عاد هولمز من نزهته المسائيّة في ذلك اليوم، وجد بانتظاره

خطاباً على الطّاولة. كنتُ قد بقيت في المنزل طوال النّهار بسبب سوء الطقس والرِّياح الشّديدة المصحوبة بالأمطار. كنت في تلك الفترة قد عدتُ من الحملة العسكرية البريطانية في أفغانستان حيث أُصبت برصاصة في أحد أطرافي، وكان مثل هذا الجو البارد يسبِّب لي ألماً كبيراً مكان الإصابة القديم. وهكذا استلقيتُ على مقعدي المريح ومددت ساقي على مقعدٍ آخر، كما وضعت بمتناول يدي عدداً كبيراً من الصحف وقرأت أخباراً كثيرة ذلك اليوم. بعد ذلك استلقيتُ بكسلٍ أنظر إلى الشّارة الكبيرة الموضوعة على ختم الرِّسالة الموجّهة إلى هولمز وأتساءل من تراه ذلك النّبيل الذي أرسل هذا الخطاب لصديقي.

وقلتُ عندما دخل هولمز: ها قد وصلَتكَ رسالةً رسميةً أنيقةً وفخمةً، فالذي أعرفه هو أنّ بريدك هذا الصّباح لم يكن يحوي إلا الفواتير لتسديدها.

أجابني مبتسماً: نعم، إنّ الرسائل التي تصلني متنوِّعة حتماً وعادةً ما يكون أكثرها تواضعاً، الأكثر إثارة في ذات الوقت. أمّا هذه فتبدو وكأنّها دعوةٌ لمناسبةٍ اجتماعيّةٍ، وهي دعوات لا أحبها لأنّها مملة ويجب أن تكون منافقاً حتّى تستطيع البقاء ضمن أجوائها.

فتح الظّرف وألقى نظرةً على مضمون الرِّسالة ثمّ قال: آه، هذا يمكن أن يكون مثيراً للاهتمام.



– إذن، أليست دعوةً اجتماعيّة؟

– بل من الواضح أنّها عمل.

– ومن هو عميل الطّبقة الرّاقية هذه المرّة؟

– أحد أرقى شخصيات البلاد يا عزيزي.

– أهنئك يا صديقي العزيز!

– أؤكد لك يا واطسون وبكل صدق أنّ مركز عملي الاجتماعي لا يُعتبر مهمّاً بالنّسبة لي بمقدار أهمية قضيّته. وإن كان هذا التّحقيق الجديد يستجوب الكثير من الانتباه لما له من أهمية. لقد كنتَ تقرأ الصحف بعنايةٍ مؤخَّراً، أليس كذلك؟

قلتُ بشيءٍ من الملل وأنا أُشير إلى كومة الصحف الضّخمة في الزّاوية: هذا أمرٌ جليّ، فلم يكن لدي من عمل آخر سواه مؤخَّراً.

- هذا من حسن الحظ، فقد تتمكّن من تقديم بعض المعلومات لي، فأنا لا أقرأ إلا أخبار الجريمة وصفحة المشاكل الشّخصية. وهي عادةً ما تكونُ مُفيدةً جدّاً لي في عملي، أمّا أنت فقد تمكّنتَ من مُتابعة الأحداث الجديدة عن كثب ولا بد أنَّك قرأت عن اللورد سايمون وزفافه.

- آه، نعم. لقد تابعته باهتمامٍ كبيرٍ.

- عظيم! هذا الخطاب من اللّورد سايمون. سأقرأه لك وبالمقابل عليك مراجعة الصحف وإخباري كل ما تعرف عن الموضوع. تقول الرسالة:

عزيزي السيد هولمز،

علمتُ من اللورد باكووتر أنّه يُمكنني الاعتماد عليكَ كُليّاً في ما سأزورك بشأنه، وكذلك يمكنني الاعتماد على كتمانك وصحة رأيك لحل الموضوع. سوف أزورك لأستفيد من رأيكَ الحادث المؤسف الذي ارتبط بزفافي. إنّ السيد ليستراد، المفتِّش في الشّرطة البريطانية يعمل على القضية حالياً. وقد أكّد لي أنّه لا يُعارض تعاونك معه بل يعتقد أنّ

ذلـك سـيفيد التّحقيـق كثـيراً. سـوف أزورك في الرّابعـة بعـد الظهـر اليـوم، لذلك أرجـو منكَ تأجيـل أي ارتباطـات أخرى لكَ لما للأمر من أهميّةٍ كبيرةٍ ومُلحّةٍ.

قال هولمز وهو يعيد الرِّسالة إلى الظّرف: إنّها مرسلة من قصر غروس فينور، وهي مكتوبة بريشة طائر، وقد لطّخ اللورد السّيء الحظ الجانب الخارجي من إصبعه الصّغير بالحبر!

- إنّ موعـده في الرّابعـة، والسّـاعة الآن الثّالثة، أي سـيكون هنا بعد ساعة.

- إذن لـدي وقـت كاف لأتمكّـن بمسـاعدتك مـن أخـذ صـورةً واضحـةً عـن الموضـوع. هيـا انظـر في هـذه الصّحـف ورتّـب المقتطفـات حسـب التّرتيـب الزّمنـي، فيـما سـأقوم أنـا بمراجعة كتبي لأعرف أكثر عن عميلنا.

سـحب هولـمز مجلّـداً ذا غـلافٍ أحمـر مـن بـين المراجـع الموجـودة جانـب الموقـد وقـال: هـا هـو. ثـمّ تناولـه وجلـس ووضعـه عـلى ركبتيـه وقـرأ بصـوتٍ مرتفـع قائـلاً: اللّـورد روبـرت واليسـنغهام سـاينت سـايمون، ثـاني أبنـاء الـدّوق بالمـورال. ولـد عـام 1846، أي أنّـه يبلغ مـن العمـر 41 عاماً. كان وكيـل وزارة المسـتعمرات في الحكومـة سـابقاً، أمّـا والـده الـدُّوق فقـد شـغل في وقـتٍ مـن الأوقـات منصـب سـكرتير الشـؤون الخارجيـة. حسـناً، ليـس في كل هـذا مـا يمكـن أن

يفيدنـا، أظـن أنّـه يتوجّب عليّ الاسـتعانة بك يا واطسـون حتّى تُقدّم لي حقائق مهمّة متعلِّقة بالقضية.



فقلت: من السهل تذكُّر ما أريد العثور عليه، فأحداث القضية لا زالت حديثة. لقد اعتقدتُ أنَّها قضية غريبة، لكنّي لم أُحدِّثك بشأنها لانشغالك بقضية أخرى ولمعرفتي بك أنّك لا تحب أن تعمل على قضيتين معاً حتّى لا تختلط الأمور عليك.

- هل تعني تلك القضية المتعلّقة بشاحنة الأثاث؟ لقد تم حل هذه المسألة بشكلٍ كامل، والحقيقة أنّ الحل كان واضحاً منذ البداية. أرجوك دعني أرى الآن إلى ما توصّلتَ إليه.

- هذا الخبر الأول الذي عثرتُ عليه. إنّه في العمود الاجتماعي بصحيفة مورنينغ بوست، وهي منشورةٌ قبل بضعة أسابيع فقط، وهذا نصها: (إذا صدقت الشّائعات، لقد تمّ الاتّفاق على زواج اللّورد روبرت ساينت سايمون، ثاني أبناء الدّوق بالمورال، على الآنسة هاتي دوران الابنة الوحيدة للسيد ألويسيوس دوران من سان فرانسيسكو، ولاية كاليفورنيا، الولايات المتّحدة خلال وقت قريب). هذا كل ما ورد في العمود الصحفي الاجتماعي.

قال هولمز وهو يقرِّب قدميه من نار المدفأة للحصول على أكبر مقدار من الدّفء: تقرير مختصر لكنّه دقيق.

- إحدى المقالات توسّعت في الخبر وهي موجودة في إحدى الصحف الاجتماعيّة في الأسبوع نفسه. آه، ها هو ذا الخبر:

ربما نسمع عمّا قريب نداءات استغاثة في سوق الزواج. حيث

يبدو أنّ مبدأ التّبادل التّجاري الحر قد أثّر سلباً في منتجاتنا المحليّة، فقد انتقلت إدارة البيوت النّبيلة في بريطانيا الواحدة تلو الأخرى لتصبح تحت سيطرة بنات أعمامنا في الجانب الآخر من الأطلسي! حيث خلال الأسبوع الماضي تمت إضافة شخص مهم إلى قائمة الجوائز التي فازت بها إحدى هؤلاء الغازيات الفاتنات، ووقع اللورد ساينت سايمون في شباك الحب، بعد أن بقي حرّاً لفترة زادت عن العشرين عاماً. فقد أعلن بشكلٍ واضح أنّ زواجه من الآنسة هاتي دوران أصبح وشيكاً. إنّها فتاة رائعة الجمال، وهي ابنة مليونير من كاليفورنيا. والآنسة دوران التي جذبت الأنظار بجمالها الفاتن هي وحيدة والدها، وقد تسرّبت الأنباء أنّ مهرها قد يصل إلى مبلغ على يمينه ستة أصفار أو أكثر. ومن الأسرار التي كُشفت أنّ الدُّوق بالمورال قد اضطر إلى بيع مقتنياته من اللّوحات الفنيّة خلال الأعوام القليلة الماضية، وبما أنّ اللورد سايمون لا يملك أي ممتلكات شخصيّة سوى مزرعة بيرتشمور، من الواضح إذن أنّ الوريثة الأمريكية ليست الرّابحة الوحيدة في هذا الزَّواج الذي سيحولها من سيدة مواطنة أمريكية عادية إلى إحدى نبيلات بريطانيا.

سأل هولمز وهو يتثاءب: هل هناك أي تفاصيل أخرى؟

– نعم، يوجد كثير من التّفاصيل. فهذا خبرٌ صغيرٌ في صحيفة المورنينغ بوست يقول إنّ الزّواج سيتم بهدوء تام،

وأنّ مراسمه ستُقام في كنيسة القديس جورج جانب ميدان هانوفر وسيقتصر الحضور على العائلة والأصدقاء المقربين. بعد ذلك سيعود الجميع إلى المنزل المفروش في لانكستر الذي استأجره السيد ألويسيوس دوران. وفي الأربعاء الماضي، أي بعد ذلك بيومين، نُشر إعلان مقتضب يقول؛ أنَّ الزّواج قد تمّ وأنّ شهر العسل سيكون بمقر اللورد باكووتر بالقرب من بيترزفييلد. تلك هي كل المقالات التي ظهرت قبل اختفاء العروس.

انتفض هولمز من مكانه وهو يصيح: قبل ماذا؟!

- قبل اختفاء السيدة.

- ومتى اختفت؟

- عند الإفطار في صباح اليوم التّالي للزَّواج.

- إنَّ الأمر أكثر إثارةً مما اعتقدتُ، بل إنَّه يصل حد التّشويق في الواقع.

- نعم، لقد أدهشني أنا أيضاً لأنّه غير مألوف.

- عادة ما تختفي الزّوجات قبل مراسم الزّواج، وأحياناً أثناء شهر العسل، لكنّي لا أتذكّر أي شيء بمثل هذه الإثارة. أرجوك أعطني مزيداً من التّفاصيل.

- يجب أن أنبهك إلى أنّها ليست تفاصيل كاملة.

- قد نتمكَّن من توضيح بعض جوانبها ولو قليلاً.

- لقد كُتبت في مقالةٍ واحدةٍ بجريدة صباح يوم أمس، وسأتلوها عليك كما هي. كان عنوانها: (واقعة غريبة في زفافٍ عصري) وهذا ما جاء فيها:

أصيبت عائلة اللورد روبرت ساينت سايمون بصدمةٍ عميقة نتيجة الأحداث الغريبة والمؤلمة التي ارتبطت بزفافه. لقد جرت مراسم الزَّواج - التي أُعلن عنها في صحف الأمس بشكل مقتضب - في صباح اليوم السّابق، ولكن تمَّ الآن فقط تأكيد الشَّائعات الغريبة التي شاعت بقوة رغم محاولات بعض الأصدقاء التّكتّم على الأمر، وقد جذبت المسألة اهتمام الرأي العام لدرجة أنَّه أصبح من الصّعب تجاهل هذه المسألة التي باتت حديث السّاعة.

فالمراسم التي تمّت في كنيسة القديس جورج بهدوءٍ تام لم يحضرها سوى والد العروس، السيد ألويسيوس دوران، والدُّوق بالمورال، واللُّورد باكووتر واللُّورد يوسيس واللِّيدي كلارا سايمون، وهما الأخ الأصغر والأخت الصغرى للعريس، والليدي أليسيا ويتنغتون. وقد توجَّهت المجموعة كلّها بعد المراسم في الكنيسة إلى الاحتفال بمنزل السيد ألويسيوس دوران في لانكستر لتناول الإفطار هناك.



ويبدو أنَّ امرأة -لم يُعرف اسمها بعد- قد تسبَّبت بحدوث إشكالٍ بسيط حين حاولت اقتحام المنزل بعد العرس مدّعيةً أنَّ لها حقاً عند اللورد سايمون، وقد طردها كبير الخدم والبوّاب بعد مشهدٍ طويلٍ ومؤلم. أمّا العروس التي كانت، لحسن الحظ، قد دخلت المنزل قبل الزِّيارة غير السّارة التي قامت بها المرأة المجهولة مع البقيّة، لكنّها أخذت تشكو من ألمٍ مُفاجئ وذهبت إلى غرفتها. وعندما أثار غيابها الطَّويل الانتباه ذهب والدها لينادي عليها لكنَّه علم من خادمتها أنّها صعدت إلى غرفتها للحظة فقط، لتأخذ معطفاً وغطاءً للرّأس ثمَّ تسرع باتّجاه الممر المؤدِّي إلى الباب الخارجي. وقد قال أحد بوابي المنزل أنّه رأى سيدة تغادر المنزل بهذه الملابس لكنَّه لم يعرف أنَّها سيدته وظنّها أحد الضيوف.

وقد تمّ إبلاغ الشرطة على الفور، وبدأت تحقيقات مكثَّفة من المحتمل أن تؤدِّي إلى معرفة وبسرعة لخفايا هذا الأمر الغريب. بكل الأحوال ما زالت السيدة مختفية عن الأنظار حتّى وقت متأخِّر من مساء الأمس، وشكك البعض أنّ في الأمر لعبة قذرة، حيث يُقال أنَّ الشرطة ألقت القبض على المرأة التي تسبَّبت بالإزعاج الأول في الحفل، ويُعتقد أنَّ لها علاقة باختفاء العروس المفاجئ بسبب الغيرة أو لدافع آخر.

- هل هذا كل شيء؟

- وهـذا موضـوع صغير في صحيفـةٍ أُخرى، لكنَّـه لا يعطي أخباراً مؤكَّدة.

- ومـاذا يقـول؟ يقول أنَّ الآنسـة فلـورا ميلر، وهي السـيِّدة التـي تسـبَّبت بالإزعـاج، قـد تـمّ إلقـاء القبـض عليهـا بالفعل وتبـيّن أنَّهـا راقصةً استعراضيةً سـابقة وأنّهـا كانت عـلى معرفةٍ باللـورد سـايمون وكان بينهما علاقة امتدت لسـنوات. هذا كل شيء تقريبـاً. لا يوجـد أي تفاصيـل أخـرى، بـل هـذا كل شيء كما جاء بالصحُف.

- مـا كنـت لأفـوت على نفسـي هكذا قضيـة مشـوقة للغاية مهما كان الثَّمـن. آه، هـا هـو ذا جـرس البـاب يقـرع وبما أنَّ السَّـاعة قـد تجـاوزت الرّابعـة بدقائق فلا بـد أنّه عميلنـا النّبيل. إيّـاك أن تفكِّـر بالمغـادرة يـا واطسـون، مـن المفيد وجود شـاهد فربما أسـتعين بكَ إذا نسـيت شـيئاً مـن التّفاصيل التي سـيرويها لنا.

دخل الحاجب وقال: اللورد روبرت ساينت سايمون.

دخـل خلفـه سـيدٌ محـترمٌ وجهـه شـاحب وأنفـه شـامخٌ بكبريـاء ولـه عينـين ثابتتـين واثقتـين تمنحانـك شـعوراً بـأنّ أوامره تخرج من فمه حتّى ينفذ الآخرين بطاعةٍ.



كانت حركته خفيفة لكن مظهره العام يشي بأنّه متقدّم في السن، فقد انحنى ظهره قليلاً ومالت ركبتاه إلى الأمام عند المشي. عندما رفع قبّعته بأنّ شعره خفيفاً في مقدِّمة رأسه وعلامات الشّيب غزت سالفيه. أمّا بالنِّسبة لملابسه فقد كان يرتدي ملابس أنيقة حد المبالغة مع معطف قصير وأسود ذا ياقةٍ عالية وقفازاً أصفر وحذاءً جلديّاً ممتازاً مغطّى بغطاءٍ بلونٍ فاتح.

تقدَّم نحونا ببطء وهو يلتفت برأسه من الجانب الأيمن إلى الأيسر في الغرفة ملوِّحاً بالرّباط الذي يحمل نظارته الذّهبيّة

قال هولمز وهو يقف احتراماً للضّيف: نهارك سعيد أيّها اللورد سايمون. أرجو أن ترتاح وأسمح لي أن أقدِّم لك صديقي وزميلي الدّكتور واطسون. اقترب قليلاً من النّار حتّى نناقش هذا الأمر.

- إنّه أمرٌ مؤلمٌ للغاية بالنِّسبة لي يا سيد هولمز. لقد فهمت أنّك تولّيت بالفعل بعض القضايا من هذا النوع يا سيدي، وإن كنت أظن أنّها لم تكن تخص نفس الطّبقة الاجتماعيّة.

- نعم، فأنا أهبط الآن إلى مستوى أدنى.

- عفواً!

- إنّ آخر عميل لهذا النّوع من القضايا كان ملكاً.

– ها! حقاً؟ لم أكن أعرف ذلك. وأي ملك هو؟

– إنّه ملك إسكندنافيا.

– ماذا؟! هل أضاع زوجته هو الآخر؟

فقال هولمز بأسلوبٍ مهذَّب: يمكنك أن تُقدِّر أنّني سأحافظ على سرية قضيتك كما كل القضايا التي توليتها.

– بالطّبع، هذا صحيح تماماً. صحيح تماماً. أرجوك اعذرني، بالنّسبة لقضيتي أنا مستعد أن أعطيك أي تفاصيل قد تُساعدك بتكوين فكرةً واضحة عن الأمر.

– شكراً، لقد عرفت بالفعل كل ما ورد في الصحف ولا شيء أكثر من ذلك. وأظن أنَّه يمكنني اعتبار أنّ عروسك قد اختفت وبالتّالي تصديق ما جاء في المقال في الصحف.

ألقى اللّورد سايمون نظرة على المقال وقال: نعم، إنّ كل المعلومات الواردة فيه صحيحة.

– لكن من الواضح أنّه لا يعطي كل المعلومات وهناك الكثير من الذي يجب الحصول عليه لأتمكن من تكوين رأي، وأظن أنّي سأتوصّل إلى الحقيقة بطريقةٍ سريعةٍ إذا أجبت على أسئلتي.

– أرجو أن تسأل ما تشاء.

– متى التقيت للمرة الأولى بالآنسة هاتي دوران؟

– العام الماضي في سان فرانسيسكو.

– هل كنت في رحلة إلى الولايات المتحدة؟

– نعم.

– هل تمت الخطبة حينها؟

– لا.

– لكنّكما كنتما مرتبطان بعلاقةٍ وديّةٍ؟

– كنت أستمتع بصحبتها.

– هل والدها ثري؟

– يُقال إنّه أغنى رجل في غرب أمريكا.

– وكيف حصل على أمواله؟

– من المناجم. لم يكن يملك شيئاً منذ سنوات قليلة، لكنّه اكتشف مناجم ذهب واستثمرها فارتقى السُّلَّم الاجتماعي بسرعةٍ كبيرةٍ.

– حسناً، ما هو انطباعكَ عن شخصيّة السيّدة الشّابة، زوجتكَ؟

أخذ النَّبيل يلوِّحُ حمَّالة نظّارته بسرعة أكبر ونظر بإمعانٍ باتّجاه نار الموقد ثمّ قال: لقد بلغت زوجتي العشرين من العمر عندما كان والدها لا يزال فقيراً، وكانت خلال تلك

الفترة تتجوّل بحريّةٍ وتعيش معه حياة معسكرات المناجم، وكانت معتادةً على التّجوُّل في المناطق البريّة كالغابات والجبال. لذلك فقد حصلتْ على تعليمها من الطّبيعة الأم بدل المدرسة. إنّها ذات طبيعة قويّة وحرّة، لا تُحب التّقيّد بأي نوع من الأعراف أو التّقاليد. إنّها كالطّبيعة لا يمكن التّنبؤ بأفعالها وهي متهورة بل تكاد تكون ثائرةً إنّها تتّخذ قراراتها بسرعةٍ وتنفذها بشجاعةٍ. وأنا ما كنت لأعطيها اسم عائلتي لو لم...

ثمّ سعل بوقارٍ وتابع: لو لم أعتقد أنّها تحمل في أعماقها صفات امرأةٍ نبيلةٍ، فأنا أعتقد أنّها قادرةٌ على التّضحية بذاتها إلى حدٍ بعيدٍ، وأنّها ستبتعد من تلقاء نفسها عن أي شيءٍ مُشين.

- هل لديك صورةً لها؟

فتح قلادة كان يحملها ليُرينا وجهَ امرأةٍ جميلةٍ ذات عينين داكنتين واسعتين، وفم صغيرٍ لطيف، وشعر أسود لامع. نظر هولمز إلى الصورة لفترةٍ طويلةٍ، ثمّ أغلق القلادة وأعادها إلى اللّورد سايمون قائلاً: لقد جاءت السّيدة الشابة إلى لندن إذن، فتجدّدت لقاءاتكما؟

- نعم لقد حضرت إلى لندن مع والدها للمشاركة في آخر موسم اجتماعي لهذا العام في لندن، فقابلتها عدّة مرات،

ثمّ تمّت خطبتنا، والآن أنا متزوّج منها.

– لقد قدّمتْ هي لكَ مهراً كبيراً كما فهمت، أليس كذلك؟

– كان مهراً مناسباً، وليس أكثر مما هو متعارف عليه في عائلتي.

– والآن سيبقى المهر معك بما أنّ هذا الزواج أصبح أمراً واقعاً؟

– في الواقع لم أتطرق أو أسأل عن هذا الموضوع؟

– بالطّبع، لم تفعل. هل رأيت الآنسة دوران في اليوم السّابق للزّفاف؟

– نعم.

– هل كانت تتمتّع بمعنويات عالية؟

– كان بأحسن حال، وبقيت تتحدّث عما يجب أن نفعله وما لدينا من خطّط لمستقبلنا.

– حقا؟ هذا مثير للاهتمام! وماذا عن صباح يوم الزّفاف؟

– كانت متألّقة إلى أبعد حد، على الأقل حتّى انتهاء المراسم في الكنيسة.

– وهل لاحظت أي تغيّر عليها بعد ذلك الوقت؟

- حسناً، لقد رأيت في الواقع خلال ذلك الوقت أول دليل على هذا التّغير أراه لأول مرة. أصبح فجأة مزاجها حاداً قليلاً، رغم أنّ الحادثة نفسها كانت أتفه من أن نُعيرها اهتماماً ولا تستحق حتّى الوقوف عندها كما لا يُمكن أن يكون هناك أي علاقة بينها وبين القضية.

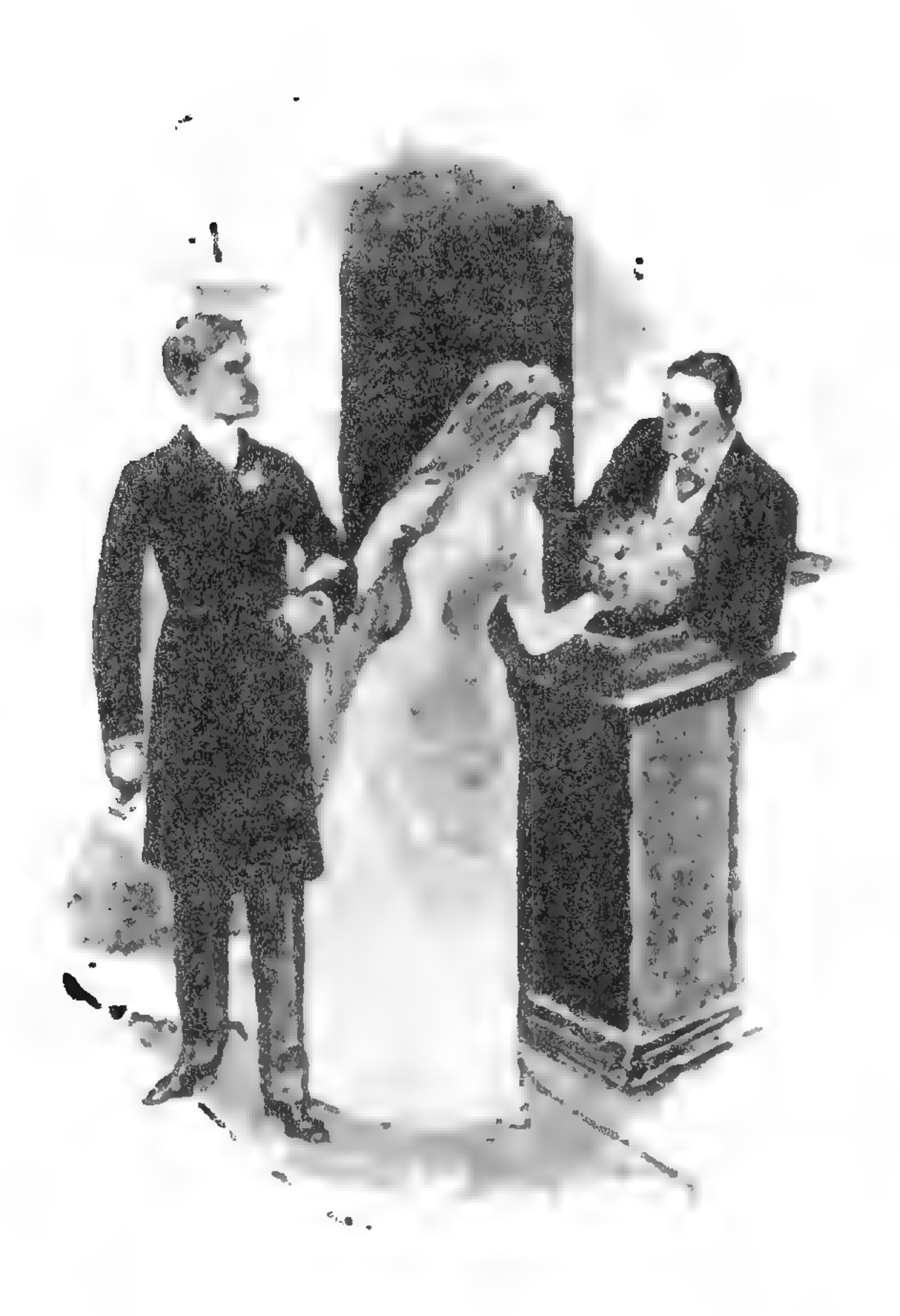
- رغم ذلك، أرجو أن تقصّها علينا.

- إنّه أمر سخيف فقد أسقطت طاقة أزهارها فيما نحن نعبر رواق الكنيسة، وكانت تمر في تلك اللّحظة بجوار المقعد الأول فوقعت الطاقة فوق المقعد. حدث تأخيرٌ بسيط، لكنّ السيد الجالس على المقعد أعادها لها. ولم يظهر أن الأزهار تضرَّرت بسبب سقوطها، إلا أنّها ردّت عليّ بجفاف عندما تحدَّثتُ إليها عن الموضوع، وعندما كنّا في العربة متّجهين إلى المنزل بدا عليها انفعال غير مبرّر بسبب هذا الأمر التّافه.

- حقاً، تقول إنَّه كان هناك سيد يجلس على المقعد في الصّف الأول من الكنيسة التي عُقد فيها قرانك. هل كان هناك حضورٌ من العامة في الزفاف؟

- نعم، فمن المستحيل منعهم عندما تكون الكنيسة مفتوحة.

- هل كان ذلك السيد أحد أصدقاء زوجتك؟



- لا، إني أدعوه بالسيد من باب اللّباقة فقط، لكنّه بدا شخصاً من مستوى وضيع. بالكاد لفت مظهره انتباهي.... لكني أعتقد فعلاً أنّنا نبتعد عن الموضوع الأساسي.

- حسناً. إذن عادت الليدي سايمون من مراسم الزفاف أقل سعادةً مما كانت عليه قبل المراسم، فما الذي فعلته بعد عودتها إلى منزل أبيها؟

- رأيتها تتحدَّث مع خادمتها.

- ومن تكون خادمتها؟

- اسمها أليس، وهي أمريكية أيضاً جاءت معها من كاليفورنيا.

- هل هذه الخادمة حافظة أسرار زوجتك ومخلصة لها؟

- إنَّها كذلك بشكل فيه شيء من المبالغة، فقد لاحظتَ أنّ سيِّدتها تمنحها الكثير من الامتيازات.. لكن عليك أن تأخذ بعين الاعتبار أنّهم ينظرون لعلاقة الخادم بالسيد بطريقةٍ مختلفة عنا.

- هل دار بينهما حديثٌ طويلٌ؟

- لدقائق قليلة، كما كنتُ منشغلاً بأمرٍ آخر حينها.

- ألم تسمع حديثهما؟

- كانت الليدي سايمون تتحدَّث عن تجاوز امتياز ما،

فهي معتادة على استخدام ألفاظ عامية من هذا النّوع، لكنّي لم أعرف عن ماذا كانت تتحدّث.

- إنّ العامية الأمريكية مُعبِّرة جدّاً في بعض الأحيان. وماذا فعلت زوجتك بعد انتهاء حديثها مع الخادمة؟

- دخلت إلى غرفة الطّعام.

- وهي تتأبّط ذراعك؟

- لا، بل دخلت لوحدها، فقد كانت تُفضِّل التَّصرف باستقلالية صغائر الأمور. بعد جلوسنا إلى المائدة بعشر دقائق، نهضت بسرعة مُغمغمة ببضع كلمات اعتذار وغادرت الغرفة. واختفت منذ ذلك الحين.

- لكن كما فهمت فإنّ الخادمة أليس تقول في شهادتها أنّها (أي السيدة) ذهبت إلى غرفتها وارتدت معطفاً كبيراً يغطِّي ثوب الزّفاف ثم وضعت على رأسها غطاء ما وخرجت.

- تماماً، وقد شوهدت بعد ذلك في حديقة هايد بارك برفقة فلورا ميلر، المعتقلة في الوقت الرّاهن، وهي نفسها التي تسبّبت بالإزعاج في منزل السيد دوران ذلك الصّباح.

- أود أن أعرف بعض التّفاصيل الإضافية عن هذه الشّابة وعلاقتك بها.

هـزَّ اللـورد سـايمون كتفيـه ورفـع حاجبيـه وقال: لقـد كنّا مرتبطـين بعلاقـةٍ حميمـةٍ لعـدّة سـنوات. لم أبخـل عليهـا بشيء وليـس لديهـا شيء ضـدي، لكنّـك تعـرف طبيعـة المرأة يا سـيّد هولمـز. كانت فلـورا امرأة لطيفـة، لكنّها انفعالية جدّاً وشـديدة التّعلُّـق بي، حتّـى أنّهـا كتبـت لي رسـائل تهديـد مخيفـة عندمـا علمت بمسألة زواجي.

في الواقـع اقتـصر حفـل الزفـاف عـلى عـددٍ محـدود وكتمان شـديد لأنّي خائفـاً من الفضيحة عـلى يدها، لكنّهـا حضرت إلى منـزل السّـيد دوران بعـد عودتنـا مبـاشرة وحاولـت الدّخـول عنوةً وهـي تُكيـل السـباب لزوجتي، حتّـى أنّها هدّدتهـا، لكنّي كنـت قد توقّعـتُ مثل هـذا الأمر، فاتّخـذت احتياطـات كافية، وأحضرتُ حارسين بملابس مدنيّة.

قامـا بطردهـا لكنّها قاومت ولم تهـدأ إلا بعـد أن أدركت أن لا جدوى مما تقوم به.

- هل شاهدَت زوجتك وسمعت كل ما حدث؟

- لا، الحمد لله لم تسمع شيئاً.

- لكنّهـا شـوهدت وهـي تتجـوّلُ بصحبـة نفس المـرأة بعد اختفائها في هايد بارك.

- نعـم وهـذا ما يعتـبره المفتّش ليسـتراد مـؤشّراً على حدث

خطير، إذ يعتقد أنَّ فلورا استدرجت زوجتي لتخرج وأوقعتها في فخٍ خطيرٍ.

- حسناً، إنّها نظرية معقولة.

- أتعتقد ذلك؟

- لم أقل إنّه أمر محتمل، ولكن ألا تعتقد أنّه أمرٌ قابل للتّصديق؟

- لا أظن أنّ فلورا قادرةٌ على إيذاء حتّى حشرة.

- ومع ذلك فالغيرة قد تغيِّر المرء بشكلٍ غير متوقَّع. أرجو أن تخبرني برأيك بما حدث.

- حسناً، لقد جئت إليك لأرى ما رأيك بالموضوع وإذا ما كان بإمكانك مساعدتي، ولم آتِ إلى هنا لأقول لك ما رأيي بالموضوع. لقد قدّمتُ لك كل الحقائق المتعلِّقة بالقضية ولكن بما أنّك سألتني رأيي، يُمكنني أن أقول إنَّ الإثارة وتسليط الأضواء على زواجي، إضافةً إلى إدراك زوجتي للقفزة الاجتماعيّة الكبيرة جدّاً التي قامت بها، كلا الأمران تسببا بحدوث بعض الاضطراب العصبي لها.

- أي وباختصار تعتقد أنَّها قد أصيبت بجنون مؤقّت ومفاجئ؟

- حسناً، في الحقيقة عندما أفكّر بأنّها تخلَّت ... لن أقول

عني، وإنّما عن الكثير مما يطمح إليه كثير من النّاس ولا ينجحون بالحصول عليه... لا أجد تفسيراً آخر لما حدث.

قال هولمز مبتسماً: حسناً، هذا أمرٌ محتمل. أعتقد أنّي حصلتُ على كل ما أريده الآن أيها اللّورد سايمون، لكن بقي سؤال: هل يمكنكم رؤية الطّريق خارج النّافذة من غرفة الطّعام حيث كنتم تجلسون؟

- كنا نستطيع رؤية الجانب البعيد من الطّريق وليس الذي تحت النّافذة.

- بالضّبط. لا أظن أني بحاجة حتّى أجعلك تتأخّر أكثر من هذا يا سيدي، وسوف أبقى على اتصال بك.

نهض اللورد سايمون من مكانه قائلاً: هل سيحالفك الحظ بحل هذه المعضلة؟

- لقد قمت بحلّها فعلاً.

- ماذا قلت؟!

- أقول أنّي توصّلتُ إلى الحل.

- أين زوجتي إذن؟

- سوف أقول لك ذلك قريباً جدّاً.

هزَّ اللُّورد سايمون رأسه بتعجب وقال: أخشى أنّ المسألة بحاجةٍ لمن يملكون من الحكمة أكثر منك ومني. ثمّ

انحنى بأسلوبٍ مُحافظ ومحترم قبل أن يغادر.

قال هولمز وهو يبتسم، بل يضحك: لقد تكرّم اللورد سايمون واعتبرني بمستوى ذكائه! حسناً، لقد توصّلتُ إلى نظرية حاسمة بخصوص القضية قبل أن يدخل عميلنا الغرفة.

- ماذا قلت، هولمز بالله عليك؟!

- لدي سجلات لعدة قضايا مشابهة رغم أنّها لم تكن بهذه السرعة كما أسلفت، وقد ساعدتني أسئلتي وأجوبة اللورد في توقعي لحقيقةِ ما جرى.

- لكنّي سمعتُ كل ما سمعتَه.

- لكن لم يكن لديك ما لدي من خبرةٍ بمثل هذه القضايا. وهذا ما أفادني كثيراً. لقد وقعت حادثة مشابهة منذ عدة سنوات في أبردين، وقضيّة أُخرى لها نفس الخطوط العريضة التي لهذه القضية، وقعت في ميونخ بعد عام على الحرب بين فرنسا وبروسيا. إنّها ببساطةٍ إحدى هذه القضايا ... آه، ها هو ليستراد.

دخل المفتش وكان يرتدي معطفاً قصيراً من الصُّوف وربطة عنقٍ أشبه بتلك التي يرتديها البحَّارة فبدا مثلهم. وكان يحمل بيده حقيبة قماشيَّةٍ سوداء. ألقى التّحيَّة وجلس. سأله هولمز: ماذا هناك؟ تبدو مُستاءً.

- أنا بالفعل متضايق. إنّها قضيَّة اللّورد سايمون اللَّعينة، فأنا لا أستطيع أن أفهم منها شيئاً.

- حقاً؟ إنَّك تُدهشني أحياناً!

- لا أعتقد أنَّ أحداً واجه قضية بمثل هذا التعقيد من قبل، فكلَّما توصَّلتُ إلى خيط يقودني إلى الحقيقة تسرب من بين أصابعي. إنّي أعمل على هذه القضيَّة طوال النّهار!

وضع هولمز يده على كم السترة التي يرتديها وقال: ويبدو أنّك نِلتَ كفايتِكَ من الرطوبة بسببها.

- هذا صحيح. فقد كنتُ أبحث في بحيرة سيربينتاين.

- لماذا بالله عليك؟!

- بحثاً عن جثّة الليدي سايمون.

ضحكَ هولمز بشدَّة حتّى أنّي استلقيتُ بكل ثقلي على الكرسي ثمّ سأل: وهل فتّشتِ عنها في حوض نافورة ميدان ترافلغار؟

- لماذا؟ ما الذي ترمي إليه؟!

- لأنّ فرصتَك في العثور على السيدة في أحد المكانين توازي فرصتك في العثور عليها في المكان الآخر.

رمق ليستراد رفيقي بنظرةِ غضبٍ وغيظ ثمَّ زَجر قائلاً: هل تعني أنّكَ تعرف كل شيء عن الموضوع؟

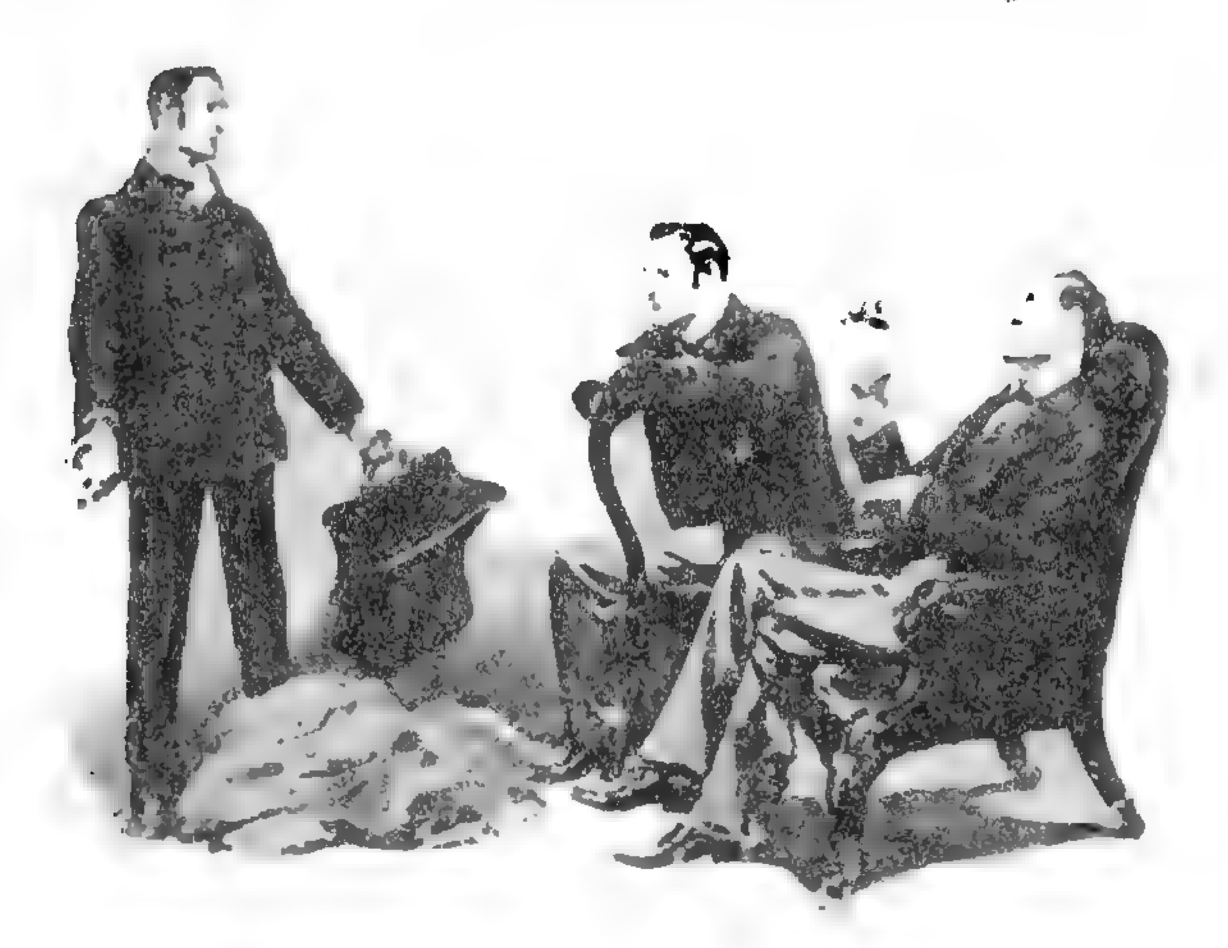
- حسناً، لقد استمعتُ للتّو إلى وقائع القضيّة، لكنّي

بعكسك توصّلتُ إلى الحل.

– حقاً؟! وأنت تعتقد أنَّ بحيرة سيربينتاين لا علاقة لها بالموضوع؟

– أظن أنّه أمرٌ مُستبعَد.

– إذن هل يُمكِنُكَ أن تُفسَّر لي كيف وجدنا في البحيرة هذه الأشياء؟



ثمّ فتح حقيبته وألقى على الأرض بثوب زفاف من الحرير المبلّل وحذاء من السّاتان الأبيض، إضافةً إلى الطّرحة التي توضع على رأس العروس. كانت كلّها متّسخة ومبتلة

بالماء وقال: تفضل. ثمّ وضع على فوق هذه الأشياء خاتم زواج جديد، وتابع قائلاً: ها هي مُعضِلةً صغيرةً عليك حلّها يا سيد هولمز.

فأجاب صديقي وهو ينفُثُ دخان غليونه: آه، حقّاً؟ هل جئتم بهذه الأشياء من بحيرة سيربينتاين؟

- لا، بل وجدها حارس الحديقة طافيةً على سطح مياه البُحيرة بالقرب من الحديقة، وقد ثبت أنّها ثياب اللّيدي سايمون. لذلك اعتقدتُ أنّنا يمكن أن نجد جثّتها بالقرب من مكان وجود الملابس.

- إذن وفق هذا التّحليل العبقري، يُفترَض أن نجد جثّة أي شخص بجوار خزانة ملابسه! أخبرني أرجوك، ما الذي كنت تسعى إلى الوصول إليه؟

- أردتُ أن أعثر على دليل يورِّط فلورا ميلر في حادثة الاختفاء.

- أخشى أنَّك لن تتمكّن من ذلك.

صاح ليستراد والمرارة تملأ كلماته: أهذا ما تعتقده حقاً؟ أخشى يا هولمز أنَّ تحليلاتك واستنتاجاتِكَ يعوزها المزيد من الدّقة. لقد وقعتَ في خطأ فادح لأنّ هذا الثّوب يورِّط فعلاً الآنسة فلورا ميلر.

- وكيف ذلك؟

- وجدنا في الثّوب جيباً يحوي علبة بطاقات ووجدنا رسالةً صغيرة في العلبة. ها هي.

ثمَّ وضعها بعنف على الطّاولة أمامنا وقال: اسمعا ما جاء فيها: (سوف نلتقي حين يتم تجهيز كل شيء. تعالي فوراً. ف م). لقد بنيتُ نظريتي منذ البداية على أنّ فلورا ميلر قد قامت باستدراج الليدي سايمون، وأنّها هي المسؤولة عن اختفائها بالاشتراك مع شخصٍ آخر. وأعتقد أنَّ هذه الرسالة القصيرة تحديداً قد تمَّ تسليمها إلى الليدي سايمون عند الباب، ومن خلالها تمكّن الجناة من استدراجها لتقع بين أيديهم.

فقال هولمز ضاحكاً: ممتاز يا ليستراد، إنّك فعلاً ممتاز. دعني ألقي نظرة على الرسالة.

أخذ هولمز الورقة بتكاسل، لكنَّ كسله سرعان ما اختفى ليحل مكانه اهتمامٌ شديد، ثمَّ أطلق صيحة رضا وقال: هذا مهم للغاية!

- هل تجدها فعلاً مهمة؟!

- إنَّها مهمة للغاية، أهنئك بحرارة.



وقف ليستراد وهو يشعر بالزهو وكأنَّه حقّق انتصاراً، ونظر إلى الورقة بيد هولمز ليصيح فجأةً: ما هذا؟! أنت تنظر إلى الجانب الآخر من الرسالة!

- أبداً، أنا أنظر إلى الجانب الصّحيح.

- الجانب الصّحيح؟! أمجنون أنت؟! إنّ الرسالة مكتوبة على هذا الجانب بقلم رصاص!

- وهنا على الجانب الآخر ما يبدو أنّه جزء من فاتورة أحد الفنادق، وهو ما يُثير اهتمامي الشَّديد.

قال ليستراد: ليس فيها ما يهم، فقد لاحظتها منذ البداية: (4 تشرين الأول، إقامة: ثمانية شلنات، فطور: شلنان، غداء: شلنان) ولا أرى فيها أي أهمية.

- احتمال ألا تفهم ذلك كبير، رغم أهمية الأمر. بالنِّسبة للرِّسالة على الجانب الآخر فهي مهمة أيضاً، أو على الأقل الحروف الأولى من كلماتها. أهنئك مرةً ثانيةً.

قال ليستراد وهو يهم بالمغادرة: لقد ضيّعتُ ما يكفي من الوقت، وأنا أؤمن بمبدأ العمل الشَّاق بدل الجلوس أمام الموقد وتأليف النّظريات. أتمنّى لك يوماً سعيداً يا سيد هولمز، وسوف نعرف قريباً من سيصل إلى حل لهذه القضية أولاً.

ثمّ جمع الملابس وأعادها إلى الحقيبة واتّجه إلى الباب، فقال هولمز لزميله بنوع من الغرور: سأعطيك تلميحاً واحداً يا ليستراد، سأخبرك بالحل الصّحيح للقضيّة. إنَّ اللّيدي سايمون ليست سوى كذبةٌ كبيرةٌ، فلا يوجد، كما لم يكن يوجد أبداً، شخص يحمل هذا الاسم.

نظر ليستراد إلى صديقي والحزن يملأ عينيه، ثمّ التفت إلي وضرب بكف يده على جبهته، ثمَّ هزَّ رأسه وأسرع بالمغادرة.

وما أن خرج ليستراد حتّى وقف هولمز وارتدى معطفه قائلاً: لقد صدق ليستراد بالحديث عن أهميّة العمل الميداني، لذلك سأدعك مع أوراقك لبضع الوقت يا واطسون.

غادر هولمز بعد السّاعة الخامسة، لكنّي لم أشعر بالوحدة في غيابه، فخلال ساعة من الزّمن وصل صاحب مطعم مصطحباً معه صندوقاً مُسطحاً وكبيراً جداً أفرغه بمساعدة صبي أحضره معه، ولدهشتي الشّديدة رأيتهما يمدان على طاولتنا المتواضعة ما لذ وطاب من الطّعام. كان هناك طبقان كبيران من لحم الدّجاج البارد، وفطيرة من كبد الإوز المهروس، إضافةً إلى مجموعةٍ كبيرة ومتنوعة من المقبلات. انصرف الاثنان بعد أن قاما بنشر كل ذلك الطّعام على الطّاولة بنظام جميلٍ، ولم يقولا شيئاً باستثناء أنّ ثمن العشاء الفخم هذا قد تم تسديده وطُلب إرساله إلينا.

دخل شارلوك هولمز إلى الغرفة بنشاط قبل التّاسعة بقليل. واستطعتُ أن أعرف أنّه توصّل إلى شيءٍ كان محقّاً بشأنه من بريق عينيه بالرُّغم أنّه حاول إخفاء ذلك خلف ملامحه الجادة. وعندما شاهد الطّعام، قال وهو يفرك يديه: لقد أعدوا العشاء، إذن؟

- يبدو أنَّك تنتظر بعض الضيوف، فقد أعدوا طاولةً لخمسة أشخاص.

- نعم، أظن أنّنا سنحظى ببعض الصحبة، بل يُدهشني أنَّ اللورد سايمون لم يأتِ حتّى الآن! آه، أعتقد أنّي أسمع صوت خطواته على الدّرج.

كان القادم هو بالفعل اللورد سايمون. دخل بسرعةٍ ملوِّحاً كعادته بحمّالة نظّارته الذّهبيّة بطريقةٍ عصبيّةٍ أكثر مما كان عليه بعد الظّهر، وقد علا وجههُ الأرستقراطي النّبيل قلقٌ شديد. سأله هولمز: إذن، فقد وصلتك رسالتي؟

- نعم، وأود أن أعترف بأنَّها أرعبتني إلى أبعد حد. هل أنت متأكد مما تقول؟

- إلى أقصى حدٍ مُمكِن.

تقَلّص اللّورد سايمون على نفسه في كرسيِّه، ومرَّر يده على جبهته ثمّ قال بصوتٍ غيرُ واضحٍ: ماذا سيكون رد فعل

الـدّوق؟ ومـاذا سـيقول حـين يعـرف أنَّ أحـد أفـراد العائلة قد تعرّض لمثل هذا الإذلال؟

- إنّها مجرد مصادفة بحتة، ولا أعتقد أنّ في الأمر أي إذلال.

- آه، أنت تنظر إلى الموضوع من زاويةٍ مختلفةٍ.

- لا أسـتطيع لـوم أي شـخص في حالتنـا هـذه. ولا أرى أنّ السّـيدة كانـت تسـتطيع التّـصرف غـير مـا قامـت بـه، رغـم طريقتهـا غير المناسـبة للقيـام بالأمر والتي تدعو فعلاً للآسـف. لكـن بـما أنّهـا يتيمـة الأم فإنّهـا لم تجـد مـن ينصحها في مثـل هذا الموقف الحسّاس.

قـال اللورد سـايمون وهـو ينقر بأصابعـه على الطّاولـة: إنّها إهانة يا سيدي، إهانةٌ علنية!

- يجـب أن تعفـو عـن هذه السـيدة المسـكينة، فقـد وجدت نفسها في موقف لا تُحسد عليه.

- لـن أسـامحها أبداً، بـل أنا غاضبٌ جـدّاً في حقيقـة الأمر. لقد استغلتني بشكلٍ مُهين ومُخجل.

قـال هولمز بهدوئـه المعتاد: أعتقـد أنّه صوت جـرس الباب. نعـم، هنـاك خطـوات صاعـدة عـلى الـدّرج. الآن وبـما أني لم أسـتطع ثنيـك عـن موقفـك المتشـدّد أيّها اللـورد سـايمون فقد وجّهـتُ الدعـوة لشـخص قد يكـون أكثـر تأثيراً عليـك لتليين

موقفكَ.

ثمّ فتح الباب وأدخل سيِّدة برفقة رجلٍ محترم وقال: اسمح لي أن أُقدِّم لك السيِّد فرانسيس مولتن وزوجته، وأعتقد أنّك قابلتَ السيِّدة من قبل.

هبَّ اللُّورد سايمون من مكانه واقفاً، ما أن دخل الضّيفان، ثمّ أحنى رأسه إلى الأسفل ووضع يده داخل معطفه الطّويل في صورةٍ واضحةٍ لشخص كرامته مجروحة وخجل من شيء ما. تقدّمت السيدة إلى الأمام ومدّت يدها إليه، لكنّه رفض رفع نظره، ربما ليحافظ على رباطة جأشه حيث كان من الصّعب مقاومة وجهها المتوسِّل.



قالت: أنت غاضب يا روبرت. حسناً، أظن أنّك محق بذلك.

قال اللُّورد بمرارة: أرجو أن لا تسأليني أن أسامحك.

- أُدرِكُ كم عاملتكَ بشكلٍ سيٍّء، وأنّه كان يُفترض بي إخبارك قبل مغادرتي، لكنّي كنتُ مشوَّشةً إلى أبعد حد. فمنذ اللَّحظة التي رأيتُ فيها فرانك لم أعد أعرف ماذا أفعل، حتّى أنّي أتعجّب كيف لم أسقط مغشياً عليّ في الكنيسة!

سأل هولمز: هل تفضلين يا سيدة مولتن أن أغادر أنا وصديقي الغرفة حتّى تتمكّني من شرح الأمر؟

وهنا تحدّث الرجل الآخر قائلاً: لو سمحتم لي، أعتقد أنّ السريّة قد تجاوزت الحدود بشأن هذا الموضوع، وأود شخصياً أن يعرف الجميع حقيقة الأمر سواء أولئك الذين في أمريكا أو هؤلاء في بريطانيا.

كان شاباً صغير الحجم ونحيل وقد صبغت الشمس جلده بوضوح. كان له وجه حاد الملامح وصاحب أسلوب رشيق.

قالت السيدة: سأروي لكم قصّتي فوراً. لقد قابلت فرانك وهو الشّخص الذي يقف هنا الآن عام 1884 في معسكر ماكوير بالقرب من جبال روكي، حيث كان أبي

يملك قطعة أرضٍ ينقِّب فيها عن الذّهب.

بعد فترةٍ قام فرانك بخطبتي بشكلٍ رسمي وحدث ذلك قبل عثور والدي على أي ذهب، وبعد عثوره على الذّهب وتحوُّله إلى شخصٍ غني جدّاً، فيما لم يجد المسكين فرانك في أرضه أي ذهب يُذكر.

وهكذا أصبح الوضع، أبي يكتشف المزيد من المناجم وخطيبي يزداد فقراً. حتّى جاء يوم رفض فيه أبي استمرار خطوبتنا وأخذني معه إلى سان فرانسيسكو.

لكنّ فرانك لم يستسلم، بل ذهب خلفي إلى هناك وأخذ يراني دون علم أبي الذي كان سيجن جنونه لو عرف.

وهكذا قمنا بكل التّرتيبات بأنفسنا، فقال فرانك أنّه سيذهب ليجني ثروة بنفسه، ولن يعود قبل أن يصبح لديه مال أكثر مما لدى والدي أو مثله.

عندها قطعت له وعداً بانتظاره إلى الأبد، وعدم الزّواج بغيره ما دام هو على قيد الحياة، فقال لي: لماذا لا نتزوّج في الحال إذن حتّى يطمئن قلبي أنكِ ستبقين لي؟ ولن أطالبك بحقي كزوج حتّى أعود وقد وفيتُ بوعدي.

حسناً، درسنا الأمر جيِّداً وقام هو بترتيب كل شيء بهدوء وقمنا بإجراءات الزّواج.

بعـد ذلك ذهـب فرانـك سـعياً وراء الثّروة وعـدتُ أنا إلى المنـزل، ثمّ سـمعت فيما بعـد أنّ فرانك قـد ذهـب إلى مونتانا ثمّ قصـد آريزونـا للتنقيب عـن الذّهب هناك، وبعد ذلك سـمعت أنّـه أصبح في نيومكسـيكو. بعدهـا نُشِرَت في إحـدى الصُّحف قصّـة طويلـة عـن هجـوم شـنّه هنـود الأباتـشي عـلى معسـكر تنقيـب، وورد اسـم فرانـك العزيـز بـينْ أسـماء القتـلى. حزنتُ كثـيراً وسـقطتُ عـلى الأرض فاقـدةً للوعـي، وبقيـتُ مريضـةً جدَّاً لشـهورٍ عديـدةٍ بعد ذلك. ظـن أبي أنّي مريضـةً فأخذني إلى نصف أطباء المدينة.

ولم تصلنـي أي أخبـار لعـام أو أكثر، لذلك تأكَّـدتُ حينها أنَّ فرانـك قـد رحـل عـن هـذا العـالم. بعـد ذلـك أتـى اللّـورد سـايمون إلى سـان فرانسيسـكو، ثمّ سـافرنا نحـن إلى لندن وتم ترتيـب الـزواج. كان أبي سـعيداً بالـزّواج لكنّي شـعرتُ طوال الوقت أنّ أحداً لن يستطيع أن يأخذ مكان فرانك في قلبي.

ومـع ذلـك، لـو كنـتُ تزوّجـت اللـورد سـايمون لكنـتُ زوجـة وفيّـة، فرغم أنّنـا لا نسـتطيع التّحكُّـم بعواطفنـا إلا أنّنا نسـتطيع السّـيطرة على أفعالنـا. لذلك ذهبـتُ معه إلى الكنيسـة وأنـا عازمـةٌ عـلى أن أكـون زوجتـه، ولكـم أن تتصـوَّرا مقـدار مفاجـأتي عندمـا وصلـتُ هنـاك ورأيتُ فرانـك واقفـاً ينظر إليّ من مقعده في الصّف الأول!

اعتقـدتُ في بـادئ الأمر أنّه شـبح، لكن عندما نظـرتُ ثانية رأيتـه ما يـزال هناك وفي عينيه تسـاؤل واسـتغراب، كـما لو كان يسألني مـا إذا كنـتُ سـعيدةً أو آسـفة عـلى رؤيتـه! مـا زلـتُ متعجبـة حتّـى الآن كيف لم أسـقط مغشـياً عليّ حينهـا، رغم أنّي شـعرتُ أنّ كل مـا حولي يـدور بسرعـةٍ كبيرةٍ. وكانـت كلمات رجـل الدّيـن تبـدو كطنـين نحلـةٍ في أُذُني، فلـم أعـرف مـاذا أفعل...

هـل يجب عـليّ أن أوقف مراسـم الزّفـاف وأثـير فضيحةً في الكنيسة؟

ألقيـتُ نظـرةً سريعـةً ثانيـةً عـلى فرانك، وبـدا أنّـه أدرك ما يـدور بـرأسي، فأومـأ إليَّ أن ألتـزم الصّمـت وأبقـى في مـكاني. بعـد ذلـك رأيتـه يكتب بسرعـةٍ على قطعـةٍ من الـورق وعرفتُ أنَّـه يكتـب رسـالةً لي، فأوقعـتُ طاقة الزّهـور عليه حـين كنتُ أمـر بجانبـه، وعندهـا دسَّ في يـدي الرِّسـالة مـع الأزهـار التي أعادها إلي.

كانـت الرِّسـالة عبـارة عن سـطر واحـد يطلب فيـه مني أن أرافقـه عندمـا يشـير لي بذلـك، وبالطَّبـع أصبحـت الأولويـة بالنّسبة لي واجباتي تجاهه، لذلك قرَّرتُ أن أُطيع ما يقوله.

عندمـا عـدتُ أخـبرتُ خادمتـي، التـي كانـت تعرفـه في كاليفورنيـا، بالأمـر وطلبـت منهـا ألا تُخـبِرَ أحـداً بالأمـر، وأن

تحزم لي بعض الأشياء وتجهّز لي معطفي. أعرف أنّه كان يجب عليّ إخبار اللورد سايمون، لكن ذلك كان صعباً جدّاً خصوصاً بوجود والدته وكل أولئك الضيوف من كبار شخصيّات المجتمع، فقرّرتُ الهروب أولاً ثمّ شرح موقفي لاحقاً.

لم أكن قد جلستُ إلى مائدة طعام الاحتفال أكثر من عشر دقائق حين رأيتُ فرانك من النّافذة واقفاً على الجانب المقابل من الطّريق.

أشار لي ثمَّ توجَّه مشياً إلى داخل المنتزه المواجه للمنزل، فتسلّلتُ وارتديتُ معطفي الواسع ثمّ خرجتُ وتبعته. وقد أتت إحدى السيدات بعد ذلك لتُحدِّثني بشأن اللورد سايمون، وبدا لي مما سمعته أنَّ لديه سرّاً صغيراً قبل الزَّواج ما زال يخفيه، لكنّي تمكّنتُ من التّملُّص منها ولحقتُ بفرانك، فركبنا عربة أجرة وذهبنا إلى منزل استأجره بالقرب من ساحة غوردون.

وهناك كان زفافي الحقيقي بعد انتظار سنين، وعرفتُ أنّ فرانك كان أسيراً لدى الأباتشي، ثمّ هرب وعاد إلى سان فرانسيسكو، ليكتشف أنّني سلّمتُ بأمر موته وسافرتُ إلى بريطانيا، فتبعني ولحق بي أخيراً صباح يوم زفافي بعد أن قرأ عن الأمر في إحدى الصحف.



وبعدها تحدّثنا عما يتوجّب القيام به، وكان رأي فرانك أن نقول الحقيقة، لكنّي شعرتُ بخجلٍ شديدٍ مما حدث وأردتُ ببساطةٍ أن أختفي ولا يراني أحدٌ منهم ثانيةً.

ربما كنت سأرسل رسالةً مختصرةً إلى أبي ليعرف أنَّني على قيد الحياة، وقد كان من المُربك أن أفكِّر بكل هؤلاء اللّوردات والسيدات الجالسات حول مائدة طعام الزّفاف بانتظاري.

لذلك أخذ فرانك ملابس زفافي وأشيائي وألقى بها بعيداً بحيث لا يستطيع أحدٌ العثور عليها. وكنّا سنغادر إلى باريس غداً على الأغلب، لولا أنّ هذا السيّد الطّيِّب شارلوك هولمز جاء إلينا هذا المساء بالرغم من أنّي لم أفهم بعد كيف عرف مكاننا!

لقد أوضح لنا بصراحةٍ شديدةٍ وبلطفٍ كبيرٍ أنَّني كنتُ مخطئةً، وأنَّ فرانك كان على صواب. وأنّنا بكتماننا للأمر نضع أنفسنا نحن محطّ لوم الآخرين. ثمَّ طلب أن يجمعنا بلقاء مع اللورد سايمون لوحده لنحدِّثه بكل الأمر، فجئنا إلى منزله على الفور ولبينا الدّعوة. والآن يا روبرت، لقد عرفتَ كل شيء...

أنا آسفة غاية الأسف لما سبّبتُهُ لك من ألمٍ، وأتمنّى ألا يكون رأيك بي سيِّئاً إلى درجةٍ كبيرةٍ.



بقي اللورد سايمون متصلّباً في وقفته الطّويلة مستمعاً إلى هذه القصّة الطّويلة وملامح الغضب تسيطر على وجهه. ثمّ قال أخيراً: أرجو المعذرة، لكنّي غير معتاد على مناقشة أموري الشّخصية أمام الآخرين.

- إذن ألن تغفر لي، ألن تصافحني قبل أن أذهب؟

- آه، بالتّأكيد، إذا كان هذا سيسعدك.

ثمّ مدّ يده وأمسك اليد التي مدّتها نحوه ببرودٍ، فيما اقترح هولمز قائلاً: لقد تمنّيتُ أن تنضم إلينا في عشاءٍ ودّي.



فأجابه اللورد قائلاً: أعتقد أنّك تطلب مني ما هو فوق طاقتي، فقد أكون مضطرّاً إلى الإذعان للتّطورات الجديدة التي حدثت رغم إرادتي، لكن لا يمكنكم أن تتوقّعوا مني أن أكون مسروراً بها، وأظن أنّي وبعد غدائك يا سيد هولمز مضطر أن أتمنّى لكم ليلةً سعيدةً وأغادر.

ثمَّ انحنى لنا جميعاً وخرج من الغرفة بشموخٍ وأنفةٍ.

عندها ألتفت شارلوك هولمز نحو العروسين وقال: أتمنّى إذن أن أتشرّف بصحبتكما على الأقل.

قال هولمز بعد انصراف ضيفانا: لقد كانت قضيّةً مثيرةً للاهتمام، لأنّها تبرز بمنتهى الوضوح كيف أنّ قضية تبدو للوهلة الأولى غاية في التّعقيد ليتم حلّها ببساطةٍ متناهيةٍ. لقد كانت رواية السيدة للأحداث منطقيّةٍ جدّاً ولا شيء أكثر غرابة من النّتيجة التي توصّل إليها المفتش ليستراد حول هذا الموضوع.

- إذن أنت لم تُخطئ بتفسير القضية أبداً؟

- لقد أدركتُ منذ البداية حقيقتين واضحتين. الأولى أنّ السيدة قد ذهبت إلى مراسم الزّفاف وهي راضيةٌ تماماً، والثّانية أنّها بدت نادمة تماماً بعد دقائق قليلة من العودة إلى المنزل.

كان واضحاً أنّ شيئاً ما حدث خلال فترة الصّباح ليجعلها تغيِّر رأيها، فما الذي قد يغيِّر رأيها؟

لم تكن تستطيع التّحدُّث إلى أي شخص عندما كانت بالخارج لأنّها كانت بصحبة العريس، فهل رأت شخصاً ما؟

ولو كان الأمر كذلك، فلا بد أنّه أمريكي لأنّ معظم معارفها من هناك حتماً ولا يمكن أن يكون هناك شخصٌ لديه تأثيرٌ كبير عليها وهو من هنا، لأنّها لن تعرف أحداً تربطها به علاقة حميمة في فترةٍ وجيزةٍ جدّاً من وجودها هنا لدرجة يمكنها أن تُغيِّر مخطّطات زواجها لمجرد رؤيته. هكذا استنتجتُ أنّها رأت أمريكياً بالتّأكيد.

لكن من يكون هذا الأمريكي؟

ومن أين له مثل هذا التّأثير الكبير عليها؟

ومن الممكن أن يكون حبيباً، ولكنّه قد يكون زوجاً أيضاً. فقد قضت أنوثتها المبكرة، كما عرفت، في بيئةٍ قاسية وظروف صعبة.

كنت قد وصلت إلى هذه القناعة قبل أن أسمع وجهة نظر ورواية اللورد سايمون للأمر، فقد أخبرنا عن وجود رجل جالس على مقعد في الصف الأول من الكنيسة، وعن تغيّر سلوك العروس، بالإضافة إلى سقوط طاقة الأزهار،

وهي وسيلة واضحة للحصول على رسالة، ولجوء السيدة إلى خادمتها الخاصّة وإشارتها الواضحة حين قالت: تجاوز امتيازات والتي تعني، بلغة عمّال المناجم الاستيلاء على امتياز شخص ما أو الأرض التي استثمرها للتّنقيب عن الذّهب فيها.

وهكذا أصبح الموقف واضحاً، فقد هربت مع رجل، وهذا الرجل إمّا أن يكون حبيباً أو زوجاً سابقاً، وكان الخيار الأخير هو المرجّح بالنسبة لي.

- وكيف وجدت مكانهما بالله عليك؟

- وكان من الممكن أن يكون الأمر صعباً، ولكن صديقنا ليستراد كان يحمل بين يديه معلومات لم يعرف هو نفسه قيمتها.

كانت للحروف الأوليّة لاسم ذلك الشخص أهميّة كبيرة، ولكن الأمر الأكثر أهمية كان معرفتنا أنّه قد سدّد خلال هذا الأسبوع فاتورة في واحد من أرقى فنادق لندن.

- وكيف استنتجت أنّ الفندق راقي؟

- عن طريق الأسعار، فثمانية شلنات مقابل الإقامة كانت دليلاً واضحاً على أنّه واحدٌ من أغلى الفنادق في لندن. إنّ الفنادق التي تتقاضى مثل هذه الأجور قليلةً وبجولةٍ

قصـيرةٍ لم تشـمل سـوى فندقـين عرفـتُ أنّ السـيد فرانسـيس مولتن وهو أمريكي قد غادر في اليوم السابق.

وحـين تفحّصـت فواتـيره وجدتُ نفـس البنود التـي رأيتها في نسـخة الفاتـورة التـي عثـر عليهـا ليسـتراد. وكان العنـوان الـذي تركـه ليتم تحويـل خطاباتـه إليه هـو المنزل رقـم 226 في ساحة غوردون.

وهكـذا توجّهـت إلى العنـوان المذكـور وحالفنـي الحـظ فوجـدت الزّوجـين المحبين في المنـزل، فقدّمـتُ إليهـما بعـض النّصائـح الأبوية وشـجّعتهما عـلى توضيح موقفهما قليـلاً لعامة النـاس وبشـكل أكثـر تفصيلاً أمام اللـورد سـايمون، ووجّهت لهـما دعـوة لمقابلتـه هنـا على العشـاء وحرصـت على جعلـه يأتي في الموعد.

فقلـت لـه: ولكنّـك لم تخـرج بنتيجة تذكـر من جمعـه معهما، فتصرفه كان سيئاً جداً.

قـال وهـو يبسـتم: آه يـا واطسـون، ربـما لم تكـن لتتـصرف بشـكلٍ أفضـل لـو كنـت مكانـه، وإذا وجـدتَ نفسـك محروماً مـن الزّوجـة والثّـروة بضربةٍ واحـدةٍ بعد مشـقّةٍ كبـيرةٍ تكبدتها في التّودد إلى من هم دون مستواك الاجتماعي!

أعتقـد أنّـه يتوجّـب علينـا ألا نقسـو بالحكـم عـلى ردة فعل

اللـورد سـايمون وأن نكـون سـعداء بـما يكفـي لأنّنـا لـن نجد أنفسنا يوماً بمثل موقفه الصّعب هذا.

هيـا بـالله عليـك، اسـحب كرسـيك وناولنـي كـماني، لأنّ المشـكلة الوحيـدة التي مـا زلنا نواجههـا الآن هـي كيفية قضاء وتمضية هذه الليالي الخريفيّة المملّة.

• انتهى •